إرادة الإنسان بعمله الدنيا

مقدم من

د. سعاد محمد سليمان السويد

أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة المساعد

جامعة الاميرة نورة بنت عبد الرحمن

من ٢٦٤٧ إلى ٢٦٩٤

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.. اما بعد،،،

إرادة الإنسان بعمله الدنيا إن الله –سبحانه وتعالى– قد أمرنا أن نعمل ابتغاء وجه الكريم، وأن نريد الدار الآخرة بهذه الأعمال الصالحة، فقال –عز وجل–: (فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ* وِمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) ٢٠٠–٢٠١ سُورَةُ البَقَرَةِ .وهناك من يريد بعمله ثواب الدنيا ولا يرجو ما عند الله، وقد قال الله تعالى: (مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاء لِمَن نُّرِيدُ) ١٨ سُورَةُ الإِسْرَاءِ .

النية محط نظر الله من العبد، والعباد يبعثون على نياتهم، فالنية هي نواة الصلاح وبذرة القبول، وأعمال العبادِ مرهونة بصلاح النوايا، وحظ العامل من عمله نيته، فإن كانت صالحة فعمله صالح وله أجره، وإن كانت فاسدة فعمله فاسد وعليه وزره، وصلاح القلب بصلاح العمل، وصلاح العمل بصلاح النية.

فإنه لا حياة للقلوب ولا سعادة ولا استقرار إلا بإخلاص النبة لله تعالى، ولكن يطيب لنا أن نقول لمن اجتهد للسعادة بغير الاخلاص بهذا القول الطيب:

إذا لم يكن من الله عون الفتى فأول ما يجني عليه اجتهاده

وبقدر ما ينشغل العقل في إيجاد السعادة بغير الاخلاص لله تعالى، بقدر ما يشقى صاحبه ويتعذب.

ولأهمية النية وجلالة قدرها، لابد ان نوضح أصناف الناس فيها، فمن الناس من كانت نيته لله والدار الآخرة فتاتيه الدنيا تباعا، ومنهم من كانت نيته لله والدار الآخرة والدنيا فهو يطلب الحسنيين، ولكن هناك من كان همه الدنيا فيعمل العمل الصالح ولا يريد به

وجه الله وهذا قد يوقعه بما يناقض كمال التوحيد أو ابتداع بالعمل الشرعي على غير الهيئة التي أمر الله بها، كأن يقرأ سورة البقرة بنية الزواج.

ولأهمية هذا الموضوع وخطره على العقيدة، اردت ان ابحث في هذا الموضوع وعنونته " إرادة الإنسان بعمله الدنيا ".

مشكلة البحث:

يعد الاخلاص في العمل احدى اهم ركزتان من ركائز الإسلام وهي الاخلاص والمتابعة، فلا يخفى على أحد اهميتها، ولا يزال هذا الأمر موجود في مجتمعاتنا من عمل العمل وارادة به الدنيا، الذي قد يوصل إلى الشرك بالله، ومن هنا كان لابد من الكشف عن ابعاد هذا المنزلق الخطير الذي قد يقلب الطاعة إلى معصية.

اهمية البحث:

١، ان هذا البحث يتعرض لبيان الموقف الصحيح من مسائل الايمان والشرك، والتي هي من اهم مسائل الدين، وعناية القرآن والسنة بها ظاهرة.

٢. وجود اساءة فهم لبعض الاعمال التي يترتب عليها جزاء دنيوي، فتعمل ابتغاء الجزاء الدنيوي السريع واغفال الجزاء الأخروي.

الدراسات السابقة:

نجد ان هذا الموضوع شغل غالبية العلماء قديما وحديثا وكتبوا في الاخلاص منها ماكتبه الشيخ محمد بن عبدالوهاب –رحمه الله– حيث أفرد في كتابه التوحيد باباً خاصاً في: إرادة الإنسان بعمله الدنيا؛ وكذلك كتاب نور الإخلاص وظلمات إرادة الدنيا بعمل الآخرة في ضوء الكتاب والسنة د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، وكتاب النية وأثرها في الأحكام الشرعية للدكتور صالح بن غانم السدلان ، ولكن نجد ان كثير من الناس أشكل هذا الأمر عليهم مثل الصدقة والاستغفار وغيرها من العبادات التي وعد الله بها ثواب في الدنيا والاخرة، إذ يفعلها وهو يبتغي الخيرين خير الدنيا والآخرة أو

يبتغـي فيهـا الـدنيا فقـط لـذا اردت بيـان مثـل هـذه النمـاذج والتفصـيل بهـا وتحقيـق الاخلاص .

اهداف البحث:

١. بيان مواطن تسرب مثل هذه الاقوال والافعال إلى الناس، ومظاهرها.

٢. بيان ارتباط تلك المظاهر بالشرك.

٣. تصحيح اللبس الحاصل لدى الناس.

٤. بيان كيفية اخلاص العمل والبعد عن الشرك.

خطة البحث:

يقع هذا البحث في تمهيد وثلاث مباحث، جاءت كالتالي:

التمهيد: الإخلاص من ثمرات التوحيد الخالص.

المبحث الأول: أهمية النية في تحقيق الإخلاص، وفيه مطالب:

المطلب الأول: أهمية النية.

المطلب الثاني: شروط العبادة وأنواع الشرك.

المطلب الثالث: حقيقة النية واهميتها.

المبحث الثاني: الاعمال بمقاصدها، وفيه مطالب:

المطلب الأول: أنواع الاعمال.

المطلب الثاني: تنوع جزاء العمل الواحد.

المبحث الثالث: أبرز مظاهر هذا التسرب، وفيه مطالب:

المطلب الأول: نماذج من الاعمال للدنيا.

المطلب الثاني: نماذج من اعمال السلف.

المطلب الثالث: وسائل العلاج.

الخاتمة، وفهارس الموضوعات.

التمهيد : الإخلاص من ثمرات التوحيد الخالص.

قبل ان نعمل أي عمل علينا أن نعرف السبل التي فيها النجاة، فلا نكثر الأعمال، فرب مكثر من الأعمال لا يفيده إلا التعب منها في الدنيا والعذاب في الآخرة ومن مثل هذا قول النبي ﷺ:" رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر"[(١)] ، لذا يشترط في العبادات حتى تقبل عند الله ﷻ ويؤجر عليها العبد أن يتوفر فيها شرطان:

الشرط الأول: الإخلاص لله ﷻ، قال تعالى: (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ) سُورَةُ البَيِّنَةِ /٥، فيكون مراد العبد بجميع أقواله وأعماله الظاهرة والباطنة ابتغاء وجه الله تعالى، قال تعالى: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) سُورَةُ هُودٍ /١٥-١٦.

وعن عمر بن الخطاب ؓ قال سمعت رسول الله ﷺيقول: "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه[(٢)] " وجاء عند مسلم من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تبارك وتعالى: " أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه ".

الشرط الثاني: موافقة العمل للشرع الذي أمر الله تعالى أن لا يُعبد إلا به وهو متابعة النبي ﷺ فيما جاء به من الشرائع فقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ : " من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد [(٣)]"قال ابن رجب رحمه الله : هذا الحديث أصل عظيم من أصول الإسلام وهو كالميزان للأعمال في ظاهرها ، كما أن حديث " إنما الأعمال بالنيات "

---

(١) رواه ابن ماجه عن ابي هريرة، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٤٨٢).

(٢) رواه مسلم (الزهد والرقائق/٥٣٠٠)

(٣) رواه مسلم (الأقضية/٣٢٤٣)

ميزان للأعمال في باطنها ، فكما أن كل عمل لا يُراد به وجه الله تعالىٰ ، فليس لعامله فيه ثواب ، فكذلك كل عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله فهو مردود على عامله ، وكل من أحدث في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله ، فليس من الدين في شيء [١].وأمر النبي ؐ باتباع سنته وهديه ولزومهما قال ۴ : " عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ " وحذَّر من البدع فقال: " وإياكم ومحدثات الأمور فإن كلَّ بدعة ضلالة [٢]" فالعزيمة الصادقة والنية، وموافقة السنة شرط في قبولها، فلا تقبل إلا باجتماعها، ولذا قال الفضيل بن عياض في قوله تعالىٰ: (لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً) سُوْرَةُ الزَلْزَلَة : ٢ قال: أخلصه وأصوبه٢[٣]، يعني: خالصا من شوائب الشرك، موافقا للسنة[٤].

وقوله سبحانه: (قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ) سُوْرَةُ الأَعْرَاف : ٢٩ ، قال ابن كثير: أي : بالعدل والاستقامة؛ أمركم بالاستقامة في عبادته في محالها ، وهي متابعة المرسلين المؤيدين بالمعجزات فيما أخبروا به عن الله تعالىٰ وما جاءوا به عنه من الشرائع ، وبالإخلاص له في عبادته ، فإنه تعالىٰ لا يتقبل العمل حتىٰ يجمع هذين الركنين : أن يكون صوابا موافقا للشريعة ، وأن يكون خالصا من الشرك، قال السعدي: (وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) أي: قاصدين بذلك وجهه وحده لا شريك له؛ والدعاء يشمل دعاء المسألة، ودعاء العبادة، أي: لا تراءوا ولا تقصدوا من الأغراض في دعائكم سوىٰ عبودية الله ورضاه [٥].

---

(١) جامع العلوم والحكم (١/١٧٦).

[٢] رواه الترمذي (العلم /٢٦٠٠) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم (٢١٥٧).

[٣] انظر مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام "١١/ ٦٠٠" وتمامه: قيل له: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل، حتىٰ يكون صوابا خالصا.

(٤) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، الحكمي (٢/ ٤٤٢).

[٥] انظر تفسير القران http://www.quran7m.com

قال ابن القيم: "فإن كل عمل لا بد له من مبدأ وغاية، فلا يكون العمل طاعة وقربة حتى يكون مصدره عن الايمان، فيكون الباعث عليه هو الإيمان المحض ...وغايته ثواب الله وابتغاء مرضاته، وهو الاحتساب؛ [(١)]؛ فتبين بهذا أن هناك فرقاً بين الباعث على العمل وبين الغاية، فالأول: الإيمان، والثاني: الاحتساب.

فالله جعل الإخلاص والمتابعة سببا لقبول الأعمال فإذا فقد لم تقبل الأعمال.[(٢)]

(١) انظر الرسالة التبوكية (٤٥).

(٢) الروح (١/١٣٥).

المبحث الأول: أهمية النية في تحقيق الإخلاص.

المطلب الأول: أهمية النية وفضلها.

عُرفت النيّة بالإخلاص، ويعدُّ "الإخلاص أمرا زائدا على النيّة، لا يحصل بدونها، وقد تحصل بدونه[(١)]"، ولكن الإِخلاص هو تلك النيّة المتجهة لله وحده دون سواه، والنية قد تكون كذلك وقد لا تكون.

ويرى آخرون أنَّ النيَّة هي تلك الإرادة التي تقصد الفعل، أمّا الإِخلاص فهو تلك التي تقصد الوجه بالفعل إلى الله، فقد قيل إن الفرق بين النية والإخلاص هو أن النيَّة تتعلق بفعل العبادة، وأمّا إخلاص النية في العبادة فيتعلق بإضافة العبادة إلى الله تعالى[(٢)].

والحق الذي تدل عليه الأدلة أن النية تطلق ويراد بها قصد العبادة، ويراد بها قصد المعبود، بل دلالة النيّة على المعنى الثاني أوضح وأظهر كما في الحديث "إنّما الأعمال بالنيات[(٣)]"، وبذلك يصح قول من قال: "وإخلاص الدين هو النية[(٤)]"، وتخصيص النيّة بالإِرادة المتوجهة إلى العبادة لا يعدو أن يكون اصطلاحا خاصّاً لبعض العلماء، أما لغة العرب ونصوص السنة فلا تدلان على تخصيصها بذلك، والنية عبارة عن انبعاث القلب نحو ما يراه موافقا لغرض من جلب نفع أو دفع ضرّ حالا أو مالا[(٥)].

فالنية محط نظر الله من العبد، والعباد يبعثون على نياتهم، فالنية هي نواة الصلاح وبذرة القبول، وأعمال العبادِ مرهونة بصلاح النوايا، وحظ العامل من عمله نيته، فإن كانت صالحة فعمله صالح وله أجره، حتى وان لم يفعله، ما دام عازماً قاصداً، قال صلى الله عليه وسلم: "من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل فغلبته عيناه حتى أصبح –طلع الفجر وما قام الليل ما صلى ركعة–قال: كتب له ما نوى وكان نومه صدقة عليه

(١) الأشباه والنظائر للسيوطي (ص ٢٠).

(٢) منتهى الآمال (٢٥ /أ) نقلا من الشاملة.

(٣) اخرجه البخاري باب كيف بدء الوحي (١).

(٤) مجموع الفتاوى (٢٦/ ٣١).

(٥) انظر الأشباه والنظائر للسيوطي (ص ٣٠)، فيض القدير (١/ ٣٠).

من ربه عز وجل"[١] وإن كانت فاسدة فعمله فاسد وعليه وزره، وصلاح القلب بصلاح العمل، وصلاح العمل بصلاح النية.

قال الشيخ ابن عثيمين ¬ :" الإخلاص لله في العبادة معناه : ألا يحمل العبدَ إلى العبادة إلا حب الله تعالى وتعظيمه ورجاء ثوابه ورضوانه ، ولهذا قال الله تعالى عن محمد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً) سُورَةُ الفَتْحِ / ٢٩ [٢] فالمؤمن يعمل لله ، ثم تأتي الدنيا تبعا ، وهذا من ثمرة إخلاصه وعمله ، لأن الله يجازيه بحسنتي الدنيا والآخرة ، كما قال تعالى : (مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) سُورَةُ النَّحْلِ / ٩٧ فهذا وعد من الله تعالى لمن عمل صالحا بأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا ، وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة ، والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت [٣]" وقال تعالى : (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) سُورَةُ الطَّلَاقِ / ٢، ٣ وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله: "من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له [٤]" وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "من لم تكن نيته صالحة ، وعمله عملا صالحا لوجه الله ، كان عمله فاسد، باطل ، كما قال تعالى: (إن سعيكم لشتى)، هذه الأعمال كلها باطلة من جنس أعمال الكفار [٥]" فمن أراد بعمله غير وجه الله ، ونوى

---

[١] سنن النسائي رقم (١٤٥٩) وصححه الالباني .

[٢] انظر "مجموع فتاوى ورسائل العثيمين" (٢١/ ١٩).

[٣] تفسير ابن كثير" (٤/ ٦٠١).

[٤] وروى الترمذي (٢٤٦٥) وصححه الألباني في "صحيح الترمذي".

[٥] انظر "مجموع الفتاوى" (٢٨/ ١٦٩).

شيئا غير التقرب إليه ، وطلب الجزاء منه ، فقد أشرك في نيته وإرادته، فلا بد أن يخلص لله في أفعاله وأقواله وإرادته ونيته، وهذه هي الحنيفية ملة إبراهيم التي أمر الله بها عباده كلهم ، ولا يقبل من أحد غيرها، وهي حقيقة الإسلام وهي ملة إبراهيم التي من رغب عنها فهو من أسفه السفهاء[١].

فضل النية

للنية فضل عظيم يبلغ المرء بها مالا يبلغه بعمله، وتوصله إلى الخلود بالجنة أو النار، لذا اهتم العلماء بالنيات، فهي المحول العجيب للثواب والجزاء، وتربي الإنسان على اليقظة، فشرف النية بموجدها، والنية إذا كانت صالحة ولم ينبثق عنها متابعة للشرع وامتثال للأوامر واجتناب للنواهي فلا قيمة لهذه النية.

---

[١] انظر "الجواب الكافي" (ص ١٣٥).

المطلب الثاني: شروط العبادة وأنواع الشرك.

خلق الله الخلق لعبادته الجامعة لمعرفته والإنابة إليه، ومحبته، والإخلاص له ...وحاجتهم إليه في عبادتهم إياه، وتألههم له؛ كحاجتهم وأعظم في خلقه لهم وربوبيته إياهم، فإن ذلك هو الغاية المقصودة لهم وبذلك يصيرون عاملين متحركين، ولا صلاح لهم ولا فلاح، ولا نعيم، ولا لذة بدون ذلك بحال، بل من أعرض عن ذكر ربه فإن له معيشة ضنكا ، ولكي تكون العبادة مقبولة لها شروط "من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد"[(١)] لا قوام للعبادة إلا بها؛ النية الخالصة وموافقة السنة شرط في قبولها، فلا تكون عبادة مقبولة إلا باجتماعها، فإخلاص النية بدون إخلاص فيه يكون شركا أكبر أو أصغر بحسب ما نقص من الإخلاص، فإن كان الباعث على العمل من أصله هو إرادة غير الله فنفاق، وإن كان دخل الرياء في تزيين العمل وكان الباعث عليه أولا إرادة الله والدار الآخرة كان شركا أصغر بحسبه حتى إذا غلب عليه التحق بالأكبر، لذا نجد كثيرا من المسلمين يقع في الشرك مع كونه يصلي ، وقد بين ذلك النبي ؐ فيما عن أبي سعيد، قال: " خرج علينا رسول الله ؐ ونحن نتذاكر المسيح الدجال ، فقال: "ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟، قال: قلنا: بلى، فقال: الشرك الخفي، أن يقوم الرجل يصلي ، فيزين صلاته، لما يرى من نظر رجل"[(٢)] فقد يقع المرء في الشرك وهو يصلي ، من حيث يدري ، أو لا يدري !!وأن الإنسان إذا أراد بعمله الصالح الدنيا ولم تخطر الآخرة له على بال: لم يصح عمله، ولم يقبل منه، حتى يريد به وجه الله، وعن أبي بن كعب ؓ قال: قال رسول الله ؐ: "بشر هذه الأمة بالسناء والرفعة والدين والنصر والتمكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا، لم يكن له في الآخرة نصيب"[(٣)]، لذا من الواجبات المحتمات، ومن أهم المهمات؛ أن يعرف العبد معنى الشرك وخطره

---

(١) مسلم "٣/ ١٣٤٣/ ح١٧١٨" في الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة.

(٢) رواه ابن ماجة (٤٢٠٤) حسنه الألباني في "صحيح ابن ماجة "

(٣) روى الإمام أحمد (٢٠٧١٥)صححه الألباني في "صحيح الجامع" (٢٨٢٥) .

وأقسامه حتى يتم توحيده، ويسلم إسلامه، ويصح إيمانه، فما هو الشرك حقيقته، وما هي أقسامه؟.

الشرك في اللغة: اتخاذ الشريك يعني أن يُجعل واحداً شريكاً لآخر، يقال: أشرك بينهما إذا جعلهما اثنين، أو أشرك في أمره غيره إذا جعل ذلك الأمر لاثنين.

وأما في الشرع: اتخاذ الشريك أو الند مع الله جل وعلا في الربوبية أو في العبادة أو في الأسماء والصفات

والند هو: النظير والمثيل؛ لذا نهى الله تعالى عن اتخاذ الأنداد وذم الذين يتخذونها من دون الله في آيات كثيرة من القرآن فقال تعالى: (فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) سُورَةُ البَقَرَةِ / ٢٢ وفي الحديث أن النبي ﷺ قال : "من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار [١]".

أقسام الشرك: دلت نصوص الكتاب والسنة على أن الشرك قد يخرج من الملة، وقد لا يخرج من الملة، ولذا اصطلح العلماء على تقسيمه إلى قسمين: شرك أكبر، وشرك أصغر، وهذا تعريف مختصر لهما.

الشرك الأكبر: أن يصرف لغير اللهِ ما هو محض حق الله من ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، وهذا الشرك تارة يكون ظاهراً : كشرك عبَّاد الأوثان والأصنام وعبَّاد القبور والأموات والغائبين، وتارة يكون خفياً : كشرك المتوكلين على غير الله من الآلهة المختلفة ، أو كشرك وكفر المنافقين؛ فإنهم وإن كان شركهم أكبر يخرج من الملة ويخلد صاحبه في النار؛ إلا أنه شرك خفي، لأنهم يظهرون الإسلام ويخفون الكفر والشرك فهم مشركون في الباطن دون الظاهر؛ كما أن هذا الشرك تارة يكون في الاعتقادات؛ كاعتقاد أن هناك من يخلق أو يحي أو يميت أو يملك أو يتصرف في هذا الكون مع الله تعالى[٢]، أو اعتقاد

---

[١] رواه البخاري (٤٩٧٤) ومسلم (٩٢).

[٢] كما يدعون اصحاب دورات العلوم الزائفة الذين يدعون ان الكون له تأثير على الانسان وانه يبث طاقات وان الانسان يستطيع ان يصنع قدره، انظر الطاقة الكونية في الوثنيات الحديثة للباحثة.

أن هناك من يطاع طاعة مطلقة مع الله، فيطيعونه في تحليل ما شاء وتحريم ما شاء ولو كان ذلك مخالفا لدين الرسل، أو الشرك بالله في المحبة والتعظيم، بأن يُحب مخلوقا كما يحب الله، فهذا من الشرك الذي لا يغفره الله، وهو الشرك الذي قال الله فيه: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ) سُورَةُ البَقَرَةِ / ١٦٥ أو اعتقاد أن هناك من يعلم الغيب مع الله [١]، وتارة يكون في الأقوال، كمن دعا أو استغاث أو استعان أو استعاذ بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله ؛ سواء كان هذا الغير نبيا أو وليا أو مَلَكا أو جِنِّياً، أو غير ذلك من المخلوقات ، فإن هذا من الشرك الأكبر المخرج من الملة، كمن استهزأ بالدين، وقد يكون بالأفعال؛ كمن يذبح أو يصلي أو يسجد لغير الله، أو يسن القوانين التي تضاهي حكم الله ويشرعها للناس، ويلزمهم بالتحاكم إليها، وكمن ظاهر الكافرين وناصرهم على المؤمنين، ونحو ذلك من الأفعال التي تنافي أصل الإيمان، فهذا كله من الشرك الأكبر والذنب العظيم الذي لا يغفر، وتخرج فاعلها من ملة الإسلام، نسأل الله عفوه وعافيته.

الشرك الأصغر: وهو كل ما كان وسيلة إلى الشرك الأكبر، أو ورد في النصوص أنه شرك، ولم يصل إلى حد الشرك الأكبر، وهذا يكون في الغالب من جهتين: من جهة التعلق ببعض الأسباب التي لم يأذن الله جل وعلا بها، كتعليق الكَفِّ والخرز ونحو ذلك على أنها سبب للحفظ أو أنها تدفع العين والله تعالى لم يجعلها سبباً لذلك لا شرعاً ولا قدراً، ومن جهة تعظيم بعض الأشياء التعظيم الذي لا يوصلها إلى مقام الربوبية، كالحلف بغير الله، وكقول: لولا الله وفلان، وأشباه ذلك.

وقد وضع العلماء ضوابط وقواعد يتميز بها الشرك الأكبر عن الأصغر عند وروده في النصوص الشرعية فمن هذه الضوابط:

١- أن ينص النبي ﷺ صراحة على أن هذا الفعل من الشرك الأصغر.

---

(١) وهذا يكثر لدى بعض الفرق المنحرفة كالرافضة وغلاة الصوفية والباطنية عموما ، حيث يعتقد الرافضة في أئمتهم أنهم يعلمون الغيب ، وكذلك يعتقد الباطنية والصوفية في أوليائهم نحو ذلك.

٢- أن يرد لفظ الشرك في نصوص الكتاب والسنة منكَّراً.

٣- أن يفهم الصحابة من النصوص أن المراد بالشرك في هذا الموضع هو الأصغر دون الأكبر، ولا شك أن فهم الصحابة معتبر، فهم أعلم الناس بدين الله ¸، وأدراهم بمقصود الشارع.

٤- أن يفسر النبي ' لفظ الشرك أو الكفر بما يدل على أن المقصود به الأصغر وليس الأكبر.

والشرك الأصغر تارة يكون ظاهراً كلبس الحلقة والخيط والتمائم ونحو ذلك من الأعمال والأقوال، وتارة يكون خفياً كيسير الرياء، كما أنه تارة يكون بالاعتقادات، كأن يعتقد في شيء أنه سبب لجلب النفع ودفع الضر ولم يجعله الله سبباً لذلك، أو يعتقد في شيء البركة، والله لم يجعل فيه ذلك، وتارة يكون بالأقوال، كمن قال مطرنا بنوء كذا وكذا؛ دون أن يعتقد أن النجوم هي التي تستقل بإنزال المطر، _لأنه متى ما اعتقد انها تستقل بأنزال المطر تحول إلى شرك اكبر_، أو حلف بغير الله دون أن يعتقد تعظيم المحلوف به ومساواته لله ، أو قال ما شاء الله وشئت، وتارة يكون بالأفعال، كمن يعلِّق التمائم أو يلبس حلقة أو خيطا ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه، لأن كل من أثبت سبباً لشيء والله لم يجعله سببا له شرعا ولا قدراً، فقد أشرك بالله.

وأما الفرق بينهما من حيث الحكم: فهو أن الشرك الأكبر مخرج من الإسلام، فيُحكم على فاعله بالخروج من الإسلام والارتداد عنه فيكون كافراً مرتداً، وأما الشرك الأصغر فلا يخرج من الإسلام، بل قد يقع من المسلم ويبقى على إسلامه، غير أن فاعله على خطر عظيم.

المطلب الثاني: حقيقة النية، وارادتها، ومحلها.

النية في الإسلام أمرها عظيم، وهي روح الأعمال، وبها صلاح الأعمال، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى[١]" والنية محلها القلب، فلو لفظ بلسانه غلطا خلاف ما في قلبه فالاعتبار بما ينوي لا بما لفظ، قال النووي رحمه الله تعالى: "أجمع المسلمون على عظم موقع هذا الحديث، وكثرة فوائده وصحته..." ثم قال: "قال جماهير العلماء من أهل العربية والأصول وغيرهم: لفظة (إنما) موضوعة للحصر، تثبت المذكور، وتنفي ما سواه، فتقدير هذا الحديث: إن الأعمال تحسب بنية، ولا تحسب إذا كانت بلا نية [٢]" وقال ابن رجب رحمه الله تعالى: "وقوله بعد ذلك: "وإنما لكل امرئ ما نوى" إخبار أنه لا يحصل له من عمله إلا ما نواه به، فإن نوى خيرا حصل له خير، وإن نوى به شرا حصل له شر، وليس هذا تكريرا محضا للجملة الأولى، فإن الجملة الأولى دلت على أن صلاح العمل وفساده بحسب النية المقتضية لإيجاده، والجملة الثانية دلت على أن ثواب العامل على عمله بحسب نيته الصالحة، وأن عقابه عليه بحسب نيته الفاسدة، وقد تكون نيته مباحة، فيكون العمل مباحا، فلا يحصل له ثواب ولا عقاب، فالعمل في نفسه صلاحه وفساده وإباحته بحسب النية الحاملة عليه، المقتضية لوجوده، وثواب العامل وعقابه وسلامته بحسب النية التي بها صار العمل صالحا، أو فاسدا، أو مباحا وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: "النية قصد فعل الشيء، فكل عازم على فعل فهو ناويه[٣] ، لا يتصور انفكاك ذلك عن النية فإنه حقيقتها، فلا يمكن عدمها في حال وجودها، فالنية أمر لازم لأفعال الإنسان المقصودة، لا يحتاج إلى تعب ولا تحصيل، ولو أراد إخلاء أفعاله الاختيارية عن نيته لعجز عن ذلك، ولو كلفه الله عز وجل الصلاة والوضوء بغير نية لكلفه ما لا يطيق، ولا يدخل تحت وسعه[٤] ، ويجب التنبه هنا إلى أمر هام أن النية لا تحول المعصية لعمل صالح؛ والحديث يدل على أن الأعمال لا تصح إلا مع وجود النية، وأن النية تؤثر في العمل، فتحوّل المباح إلى قربة وطاعة، وتحول الطاعة

---

[١] رواه ومسلم (١٩٠٧).

[٢] شرح مسلم، للنووي (٤٧/١٣).

[٣] جامع العلوم والحكم (٦٥/١)، وينظر: إعلام الموقعين (٩١/٣).

[٤] إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (١٣٧/١).

إلى معصية، كمن يفعلها رياء وسمعة أو لأجل الدنيا، لكنها لا تحول المعصية إلى مباح كما يظن ذلك بعض الناس، قال الغزالي[1] في انقسام الأعمال إلى: "معاص، وطاعات، ومباحات، وتأثير النية في ذلك: القسم الأول: المعاصي، وهي لا تتغير عن موضعها بالنية، فلا ينبغي أن يفهم الجاهل ذلك من عموم قوله عليه السلام: "إنما الأعمال بالنيات" فيظن أن المعصية تنقلب طاعة بالنية، كالذي يغتاب إنساناً مراعاة لقلب غيره، أو يطعم فقيراً من مال غيره، أو يبني مدرسة أو مسجداً أو رباطاً بمال حرام، وقصده الخير، فهذا كله جهل، والنية لا تؤثر في إخراجه عن كونه ظلماً وعدواناً ومعصية، بل قصده الخير بالشر على خلاف مقتضى الشرع، شر آخر، فإن عرفه فهو معاند للشرع، وإن جهله فهو عاص بجهله؛ إذ طلب العلم فريضة على كل مسلم، إلى أن قال: فإذن قوله عليه السلام: "إنما الأعمال بالنيات" يختص من الأقسام الثلاثة بالطاعات والمباحات دون المعاصي؛ إذ الطاعة تنقلب معصية بالقصد، والمباح ينقلب معصية وطاعة بالقصد، فأما المعصية فلا تنقلب طاعة بالقصد

أهمية النية

النية تحِوّل المباحات إلى طاعات وقربات، فلهذا ينبغي العناية والاهتمام بها، وجعلها لله تعالى، خالصة من شوائب الرياء والسمعة ولا شك أن تصحيح النية، واستحضارها في بداية العمل، من أعظم ما ينبغي أن يشتغل به العابد، فإن عليها مدار قبول العمل أو رده، وعليها مدار صلاح القلب أو فساده؛ فإن القلب لا يصلح إلا بأن يكون عمله وسعيه لله خالصا مما سواه.

مكان النية من العلم والعمل

يظهر لنا أنَّ محل النية القلب، فقد عرَّفها بعضهم بأنَّها "عزيمة القلب"، أو "وجهة القلب"، أو "قصده"، أو "انبعاثه" وقد نقل ابن تيمية اتفاق علماء الشريعة على أنَّ القلب محل النية [2]، وحالة القلب يكتنفها أمران: علم وعمل، العلم يَقْدُمه، لأنه أصله وركنه، والعمل يتبعه، لأنه ثمرته وفرعه. فالنية حالة لا بدَّ منها لإيجاد الفعل، والنية لها متعلقان:

---

(١) احياء علوم الدين (٣٦٨/٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٦٢/١٨).

الأول: الفعل المراد تحقيقه، فالنية تجعله اختياريا كالهويّ إلى السجود مثلا، فإنه تارة يكون بقصد، وتارة يسقط الإنسان على وجهه بصرعة أو صدمة.

الثاني: المعنى الذي كان من أجله الفعل، والقصد يكون بمعنى العلّة التي وجد الفعل من أجلها، فيكون القصد هنا الانبعاث لإجابة الداعي والباعث، فالذي يقوم مختارا قد يكون قصده القيام احتراما لإنسان قادم، وقد يقصد الوقوف تعظيما لله في الصلاة، وقد يقصد تناول شيء ما، فالقيام لا يخلو عن باعث يدعو إلى تحقيقه، فالقصد هنا إجابة ذلك الداعي المحرك إلى الفعل.

والعلم لا بد منه كي يتحقق القصد بمعنييه، فالقصد إلى الفعل لا يكون ما لم يكن الفعل المراد معلوما، فالذي لا يعلم أنَّ في الصلاة وقوفا وركوعا وسجودا كيف يتأتى منه أن يقصد ذلك؟.

والقصد بمعنى الباعث يستدعي العلم أيضا، فإنَّ الغرض إنما يكون باعثا في حقِّ من علم الغرض، فمن لا يعلم معنى الاحترام والتعظيم لا يمكنه أن يقوم لغيره على نيَّة الاحترام والتعظيم[١].

الأعمال الصادرة من المجنون والمعتوه والمخطئ والساهي والغافل والنائم لا يُعتدُّ بها إن كانت طاعات، ولا يعاقب عليها إن كانت معاصي، فالذي يستمع القرآن بغير قصد الاستماع لا يثاب على استماعه، والسامع للمحرَّم من الكلام من غير قصد لا عقوبة عليه[٢].

أنواع النيات، *النية نوعان*: نية مفروضة، ولا تصح العبادة إلا بها، ونية مستحبة، لتحصيل الأجر والثواب، وهذه التي يغفل عنها بعض الناس، وهي استحضار النية في المباحات، لتكون طاعات وقربات، كأن يأكل ويشرب وينام بنية التقوي على الطاعة، كما قال صلى الله عليه وسلم: "إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى ما تجعل في فم امرأتك[٣]" وقال معاذ رضي الله عنه: "أما أنا فأنام وأقوم فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي"[٤]فكان رضي الله عنه يحتسب الأجر في النوم، كما يحتسبه في قيام الليل، لأنه أراد بالنوم التقوي على العبادة والطاعة.

---

(١) إحياء علوم الدين (٤/ ٣٦٥).

(٢) مقاصد المكلفين فيما يتعبد به لرب العالمين الأشقر (٦٦).

(٣) رواه البخاري (٥٦).

(٤) رواه البخاري (٤٠٨٨).

والذي يعين على استحضار هذه النية: التأني والتدبر وعدم العجلة، فيفكر الإنسان فيما يأتي ويذر، ويحاسب نفسه قبل العمل، فينظر هل هو حلال أو حرام، ثم ينظر في نيته: ماذا أراد بذلك؟ فكلما حاسب نفسه، وعودها النظر قبل العمل، كلما كان ذلك ادعى لتذكره أمر النية، حتى يصير ذلك ملكة له، وعادة يعتادها، فلا يخرج ولا يدخل، ولا يأكل ولا يشرب، ولا يعطي ولا يمنع، إلا وله نية في ذلك، وبهذا تتحول عامة أوقاته إلى أوقات عبادة وقربة.

والنية المؤثرة تختلف في الفعل، فتصير تارة حراما، وتارة حلالا، وصورته واحدة، فإنْ كانت نيّة العامل خالصة لله ¸ فهذا العمل عملٌ صالح، وإن كانت نية العامل غير خالصة لوجه الله ¸ فهذا عملٌ فاسد وإن كانت صورته صورة عمل صالح، كالذبح مثلا، فإنه يحل الحيوان إذا ذبح لأجل الله، ويحرمه إذا ذبح لغير الله، والصورة واحدة، والرجل يشتري الجارية لموكله فتحرم عليه، ولنفسه فتحل له، وصورة العقد واحدة، وقال ابن القيم في كتاب الروح: "الشيء الواحد تكون صورته واحدة، وهو ينقسم إلى محمود ومذموم، فمن ذلك التوكل والعجز، والرجا والتمني، والحب لله والحب مع الله، والنصح والتأديب، وحب الدعوة إلى الله وحب الرياسة، وعلو أمر الله والعلو في الأرض، والعفو والذل، والتواضع والمهانة، والموجدة والحقد، والاحتراز وسوء الظن، والهدية والرشوة، والإخبار بالحال والشكوى، والتحدث بالنعم شكرا والفخر بها، فإن الأول من كل ما ذكر محمود، وقرينه مذموم، والصورة واحدة، ولا فارق بينهما إلا القصد" (١).

وقال النبي –•–: (من تعلم علماً ما يُبتغى به وجه الله – ¸ – لا يتعلمُهُ إلا ليُصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عَرْف الجنة يوم القيامة) يعني ريحها (٢).

وعن جابر – ¢ – يرفعه: (لا تعلّموا العلم لتُباهوا به العلماء، ولا لتماروا به السفهاء، ولا لتخيّروا به المجالس، فمن فعل ذلك فالنار النار (٣)).

---

(١) المرجع السابق ص (٧١)، نقلا عن منتهى الآمال (٢٠/ ب).

(٢) ابو داود، كتاب العلم، باب: في طلب العلم لغير الله (٣/ ٣٢٣)، برقم (٣٦٦٤)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١/ ٤٨).

(٣) ابن ماجه، باب الانتفاع بالعلم والعمل به، (١/ ٩٣)، برقم (٢٥٤)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه.

وقال ابن مسعود – ¢ –: (لا تعلَّموا العلم لثلاث: لتُماروا به السفهاء، وتُجادلوا به العلماء، ولتصرفوا به وجوه الناس إليكم، وابتغوا بقولكم ما عند الله؛ فإنه يدوم ويبقى، وينفد ما سواه) [١].

فتختلف نتيجة العمل على حسب العمل وليس على صورته فأن العبرة ليستً في صورة العمل، فربما يكون من يتصدّق بشيء قليل مع نيّة صالحة ينال به أجراً عظيماً، كما قال ": "اتقوا النار ولو بِشِقِّ تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيّبة". فالعمل القليل مع الإخلاص يكون كثيراً، وربما يكون العمل كثيراً لكن فائدته قليلة أو ليس فيه فائدة أصلاً نظراً لنيّة عامله، ولهذا يقول ": "إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم"، فمحل نظر الله ´ إلى القلوب والأعمال؛ أعمال القلوب من المقاصد والنيّات، وأعمال الجوارح أيضاً، فالعبرة ليست بصورة العمل وإنما هي بنية العامل.

قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة، إنْ أُعطِي رضي، وإن لم يُعطَ لم يرضَ"[٢] ففي الحديث دليل على الفرق بين العبد الذي يعمل لوجه الله والعبد الذي يعمل لأجل الدنيا، لأنه ذكر عبدين: واحداً يعمل لأجل الدنيا وواحداً يعمل لأجل الآخرة، فالذي يعمل لأجل الدنيا إن أُعطي رضي، وإن لم يُعْطَ لم يرضَ، هذه علامته، بخلاف المؤمن فإنه لا يؤثِّر عليه العطاء وعدم العطاء للإيمان الذي في قلبه، فالحديث فيه: الفرق بين من يعمل من أجل الله ومن يعمل لأجل الدنيا، فالذي ليس له هم إلا الدنيا قد تنقلب عليه الأمور، ولا يستطيع الخلاص من أدنى أذية وهي الشوكة، بخلاف الحازم اذي لا تهمه الدنيا ، بل أراد الآخرة ولم ينس نصيبه من الدنيا، وقنع بما قدره الله له.

---

[١] ابن ماجه عن أبي هريرة، باب الانتفاع بالعلم والعمل به، (١/ ٩٦)، برقم (٢٦٠)، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه (١/ ٤٨).

[٢] رواه البخاري كتاب الجهاد (٢٨٨٦).

نجد النبي ‘سمي العبد الذي يعمل من أجل مطامع الدنيا عبداً لها، وهذا يقتضي الشرك، ولكنه في حق المؤمن لا يكون شرك ما لم يصل بها إلى حد الشرك، ولكنها نوع آخر يخل بالإخلاص، لأنه جعل في قلبه محبة زاحمت محبة الله – ¸ – ومحبة أعمال الخير [1] فينقِّص توحيده ويبطل أعماله التي خالطها هذا القصد السيء، لأنه جعل عمل الآخرة وسيلة لعمل الدنيا.

ولهذا تَكَفَّل الله بالسعادة لمن عمل لله، فعن أنس يرفعه: "من كانت الآخرة همّهُ جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه، وفرَّق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قُدِّرَ له [2]".

"التوكل يجمع الأمرين، فالتوكل يجمع شيئين:

الاعتماد على الله، والإيمان بأنه مسبب الأسباب، وأن قَدَره نافذ، وأنه قَدَّر الأمور وأحصاها وكتبها ´، وتعاطي الأسباب.

والأسباب هي جميع الخلق ومسببها؛ وهو الله خالقها ومقدرها، والإسلام ليس فيه اعتماد المسلم على الأسباب مع غض الطرف عن مسببها، وليس فيه قطع الأسباب والتخلي عنها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية – ¬ –: " ومما ينبغي أن يعلم: ما قاله طائفة من العلماء، قالوا: " الالتفات إلى الأسباب: شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسباباً: نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية: قدح في الشرع، وإنما التوكل، والرجاء: معنى يتألف من موجب التوحيد، والعقل، والشرع [3]".

وبيان ذلك : أن الالتفات إلى السبب هو اعتماد القلب عليه ، ورجاؤه ، والاستناد إليه ، وليس في المخلوقات ما يستحق هذا ؛ لأنه ليس مستقلاً ، ولا بد له من شركاء ،

---

[1] القول المفيد على كتاب التوحيد لابن عثيمين (٤٦٠).

[2] الترمذي، كتاب صفة القيامة، بابٌ: حدثنا قتيبة، (٦٤٢/٤)، برقم (٢٤٦٥)، وصححه الألباني في الأحاديث الصحيحة، (٩٥٠).

[3] انظر مجموع الفتاوى (٨ / ١٦٩) .

وأضداد ، ومع هذا كله : فإن لم يسخِّره مسبِّب الأسباب : لم يسخَّر ، فعلى العبد أن يكون قلبه معتمداً على الله ، لا على سببٍ من الأسباب ، والله ييسر له من الأسباب ما يصلحه في الدنيا والآخرة ، فإن كانت الأسباب مقدورة له ، وهو مأمور بها : فَعَلَها ، مع التوكل على الله ، ومَن ترك الأسباب المأمور بها : فهو عاجز ، مفرط ، مذموم[١] ولا يتوقف رزق العبد على ذلك السبب المعين ، بل يفتح له سبباً غيره أحسن منه ، وأنفع ، وربما فتح له عدة أسباب ، فعليه في أحواله كلها أن يجعل فضل ربه ، والطمع في برِّه : نصب عينيه ، وقبلة قلبه ، ويكثر من الدعاء المقرون بالرجاء ؛ فإن الله يقول على لسان نبيه : "أنا عند ظن عبدي بي ، فإن ظنَّ بي خيراً فله ، وإن ظن بي شرّاً فله"[٢] وحديث عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ¢، إنه سمع نبي الله ' يقول: "لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا"[٣].

وأن ما يصيب الإنسان من هم وغم: إنما هو بسبب معاصٍ هو مرتكبها؛ فإن الله تعالى قد يعجل بالعقوبة لمن كانت هذا حاله، قال الإمام ابن قيم الجوزية – ¬ –:" ومن عقوباتها – أي: المعاصي والذنوب –: ما يلقيه الله سبحانه من الرعب، والخوف في قلب العاص، فلا تراه إلا خائفاً مرعوباً، فإن الطاعة حصنُ الله الأعظم [٤]".

(١) المصدر السابق (٨ / ٥٢٨ ، ٥٢٩) .

(٢) رواه أحمد، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٣٣٨٦)انظر، تيسير اللطيف المنّان (٨٥).

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب الزهد، باب في التوكل على الله (٤/٥٧٣)، رقم: (٢٣٤٤).

(٤) انظر، الجواب الكافي (٥٠) .

المبحث الثاني: الأعمال بمقاصدها.

المطلب الأول: أنواع الاعمال

هناك أعمال أجورها عند الله عظيمة ، ولكن لها حظوظ للنفس بالدنيا، كالاستغفار قال الله:(فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً* يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً*وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً) ١٠-١٢ سُورَةُ الْعَصْرِ ، فتختلف مقاصد الناس بعمل تلك الاعمال الصالحة فهناك من يعملها لوجه الله والرغبة في الجنة وما يقرب إليها، والهرب من النار وما يقرب منها، وصنف يبتغي وجه الله وثواب الدار الآخرة بالقصد الأول، استحضر الثواب الدنيوي والثواب الأخروي معاً، وصنف يبتغي بعمله ونيته الدنيا من كل وجه ولا يريد وجه الله، وهذه تنقسم إلى اقسام:

القسم الأول: أن يكون العمل الذي عمله، واستحضر فيه ثواب الدنيا، وأراده ولم يُرد ثواب الآخرة، لم يُرغب الشرع فيه بذكر ثواب الدنيا، مثل: الصلاة، والصيام، ونحو ذلك من الأعمال والطاعات.

والقسم الثاني: أعمال رتَّب الشارع عليها ثواباً في الدنيا، ورغَّب فيها بذكر ثواب لها في الدنيا، كصلة الرحم، وقد قال صلى الله عليه وسلم: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ)، فهذا النوع إذا استحضر في عمله – حين يعمل هذا العمل – استحضر ذلك الثواب الدّنيوي؛ وأخلص لله في العمل؛ ولم يستحضر الثواب الأخرويّ.

القسم الثالث: أهل الرياء، الذين يعملون الأعمال لأجل الرياء.

فلا يجوز أن يعمل الإنسان عبادة يبتغي بها غير وجه الله مهما كانت أجورها الدنيوية، وإلا فالعمل يحبط، فعلى العبد أن ينوي بعمله وجه الله، وأما الآخر فسيحصل له تبعاً،

جاء في حديث أبي ذر عن النبي ﷺأنه "سئل عن الرجل يعمل العمل من الخير، يحمده الناس عليه، فقال: تلك عاجل بشرى المؤمن"[(١)].

شروط جواز العمل للدنيا:

أحدها: أن لا يقصدوا بذلك الدنيا لذاتها، بل يتخذونها وسيلة للعمل في الحقول النافعة للخلق.

الثاني: أن من أراد النفع الدنيوي يدخل بنية النفع الأخروي ولا يؤثر عليه ما يحصل له من النفع فيما بعد.

الثالث: أن الإنسان إذا أراد بعمله الحسنيين حسنى الدنيا، وحسنى الآخرة فلا شيء عليه في ذلك؛ لأن الله يقول: (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ۞ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً) سُورَةُ الطَّلَاقِ /٢ -٣، وهذا ترغيب في التقوى بأمر دنيوي.

أنواع الأعمال للدنيا

أولا: طلب الإنسان أن يوسع عليه في رزقه، وإرادته لذلك لا حرج فيه؛ لأنه طلب لأمر من الأمور المباحة، وإذا طلب ذلك لينفق في سبيل الله كان طلبه مستحبا مشروعا، بخلاف من يطلب ذلك تكثرا وزيادة وحرصا على الدنيا وزينتها فهذا مذموم، وحظه من الذم بقدر ما يؤدي ذلك إليه من الإثم.

ثانيا: قول الرجل " هذا مالي ورثته عن أجدادي " ليس من الشرك؛ لأنه أثبت السبب الشرعي والقدري

أما من يقول ذلك تكبرا على الخلق وتعاظما، فهذا حاله مذموم، وفعله هذا من أفعال الجاهلية.

(١) مسلم: البر والصلة والآداب (٢٦٤٢).

ثالثا: كذلك نسبة العمل إلى السبب؛ قول القائل " ليس من الشرك إذا اعتقد أن ذلك بمشيئة الله، أما من اعتقد أن السبب هو الفاعل، دون تقدير الله، فهو كافر بالله.

رابعا: أن يعمل أعمالاً صالحة، ونيته رياء الناس لا طلب ثواب الآخرة.

خامسا: أن يعمل أعمالاً صالحة يقصد بها مالاً، وهؤلاء أعقل من الذين قبلهم، لأنهم عملوا لمصلحة يحصلونها، والذين قبلهم عملوا من أجل المدح والجلالة في أعين الناس، ولا يحصل لهم طائل، والنوع الأول أعقل من هؤلاء، لأنهم عملوا لله وحده لا شريك له، لكن لم يطلبوا منه الخير الكثير الدائم وهو الجنة، ولم يهربوا من الشر العظيم وهو النار[(١)].

ولما سُئل الشيخ محمد بن عبدالوهاب عن قوله تعالى: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ)سُورَةُ هُودٍ : ١٥، ذكر أنها تشمل أنواعاً:

النوع الأول: المشرك والكافر الذي يعمل أعمالاً صالحةً في هذه الدنيا؛ من إطعام الطعام، وإكرام الجار، وبر الوالدَيْن، والصدقات والتبَرُّعات، ووجوه الإحسان، ولا يؤجر عليها في الآخرة؛ لأنها لم تُبْنَ على التوحيد، فهو داخل في قوله: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ) سُورَةُ هُودٍ : ١٥؛ فالكافر إذا عمل حسنات، فإنه قد يجازي بها في الدُّنيا، وأمَّا في الآخرة فليس له جزاء عليها عند الله؛ لأنَّها لم تُبْنَ على التوحيد والإخلاص لله ,.

النوع الثاني: المؤمن الذي يعمل أعمالاً مِنْ أعمال الآخرة، لكنَّه لا يُريد بها وجْه الله، وإنَّما يُريد بها طمع الدنيا كالذي يحج ويعتمر عن غيْره، يريد أخْذ العِوَض والمال، وكالذي يتعلم ويطلب العلم الشَّرعي من أجل أن يحصلَ على وظيفةٍ، فهذا عملُه باطل في الدُّنيا، وحابط في الآخرة، وهو شِرْك أصغر.

---

(١) تيسير العزيز الحميد (٤٦٢-٤٦٣).

النوع الثالث: مؤمن عمل العمل الصالح مُخلصاً لله ، لا يُريد به مالاً أو متاعاً من متاع الدُّنيا ولا وظيفة، لكن يُريد أن يجازيه الله به، بأن يشفيه الله من المرض، ويدفع عنه العين، ويدفع عنه الأعداء، فإذا كان هذا قصده، فهذا قصد سيئ، ويكون عمله هذا داخلاً في قوله: ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ) سُورَةُ هُودٍ : ١٥، والمفروض في المسلم أنْ يرجو ثواب الآخرة، يرجو أعلى مما في الدنيا، وتكون همته عالية، وإذا أراد الآخرة أعانه الله على أُمُور الدُّنيا ويسَّرها له؛ (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) سُورَةُ الطَّلَاقِ : ٢ – ٣.

النوع الرابع: وهو أكبر من الذي قبله، وهو الذي ذكره مُجاهد في الآية أنها نزلتْ فيه، وهو أن يعمل أعمالاً صالحة، ونيَّته رياء الناس، لا طلب ثواب الآخرة.

وإذا عمل الرجلُ الصلوات الخمس، ابتغاء وجْه الله، ثم بعد ذلك عمل أعمالاً قاصداً بها الدُّنيا، مثل أن يحجَّ فَرْضه لله، ثم يحج بعده لأجْل الدنيا، فهو لما غلب عليه منهما، وقد قال بعضهم: القرآنُ كثيراً ما يذكر أهل الجنة الخلص وأهل النار الخلص، ويسكت عن صاحب الشائبتين، وهو هذا وأمثاله[(١)].

وأمَّا من عمل لله وحده، وأخلص في عمله إخلاصاً تامّاً؛ لكنه يأخذ على عمله جعْلاً معلوماً، يستعين به على العمل والدين؛ فهذا لا يضرُّ أخْذه في إيمان العبد وتوحيده؛ لكونه لَم يُرِدْ بعملِه الدُّنيا، وإنما أراد الدِّين وقصد أن يكون ما حصل له مُعيناً على قيام الدِّين[(٢)].

فالمؤمن إن أُعطي شكر، وإن لم يعطَ فإنه يصبر ولا يسخط، فسِيَّان عنده؛ ولا ينقص ذلك من عمله لله شيئاً، لأنه يحب الله ورسوله، ولهذا كان النبي ﷺ يعطي بعض النّاس وهو

---

(١) كتاب "الاستنباط"؛ للشيخ محمد عبدالوهاب (١٢٠ – ١٢٣)، نقْلاً عن كتاب: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد؛ ابن عبدالوهاب (٤٣٧ – ٤٤١).

(٢) انظر: القول السديد (١٨٧ – ١٨٩).

يبغضهم من أجل تأليفهم، والخوف عليهم من النفاق، ويمنع ناساً هم أحب النّاس إليه ويَكِلُهم إلىٰ إيمانهم، لأنه واثقٌ من إيمانهم، وأنهم لا يتأثّرون إذا لم يُعطوا، وهذه علامة المؤمن: أنه باقٍ علىٰ إيمانه ويقينه أعطيَ من الدنيا أو لم يعط، أما صاحب الدنيا فهذا إنْ أُعطي منها رضي وإن لم يعط منها سخط، فهو يرضىٰ لها ويغضب لها.

المطلب الثاني: تنوع جزاء العمل الواحد بتنوع نيته.

لابد المؤمن أن يجمع في عمله بين الباعث والغاية فيعمل العمل طاعة لله، ويطلب ادخار الثواب عنده تعالى؛ ولهذا قال النبي ^: "فلتصبر ولتحتسب"[(١)] ولكن قد يعمل المسلم عملاً يبعثه عليه إيمانه بالله تعالى، وإرادة طاعته، ولكنه لا يستحضر احتساب الثواب، فيؤجر على عمله، ولكنه يفوته ثواب الاحتساب، قال الشيخ ابن عثيمين – ¬ –: الأعمال الصالحة قسمان:

النوع الأول: أعمال لازمة لا يتعدى نفعها للغير، فهذه إن عملها الإنسان بنية أثيب ولو بنية القيام بالواجب؛ يعني: ولو لم ينو الاحتساب لكنه نوى القيام بالواجب فإنه يثاب.

والنوع الثاني: عبادات متعدية ينتفع بها الغير، فهذه يؤجر على انتفاع الغير بها، وإن لم يكن له نية عند فعلها؛ ولهذا أخبر النبي ^ أن من زرع زرعاً أو غرس شجرة فأصاب منها حيوان أو سرق منها؛ فإن له بذلك أجراً، مع أنه ربما يغرس ولا ينوي هذه النية، ولكن ما دام فيه انتفاع للناس فله أجر به، ويدل على هذا قوله تعالى: (لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاس)سُورَةُ النِّسَاءِ :١١٤وهذا إذا فعله الإنسان – ولو لمجرد الإصلاح – بدون قصد الثواب ففيه خير، ثم قال: (وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً) سُورَةُ النِّسَاءِ :١١٤ وهذا أمر زائد على الخير الذي ذكره الله في أول الآية، فإماطة الأذى عن الطريق نفعها متعدٍ؛ فيثاب الإنسان عليه، وإن لم يكن له نية على هذه الإماطة، فمن عمل عملاً وكان الباعث عليه الرياء، فإنه لا أجر له حتى وإن أراد الاحتساب عند رؤية الأثر؛ لأن وقت الاحتساب قد فات، ولكنه يثاب على توبته لله تعالى وندمه.

فالاستغفار من الأعمال الصالحة التي لها ثواب معجل في الدنيا، كذلك بِرّ الوالدين، يجب أن تكون النية فيهما إرادة وجه الله والدار الآخرة، واللهُ من كرمه يعجل للبارِّ من

---

(١) البخاري (٨٠/٢)، برقم (١٢٨٤).

ثواب عمله في الدنيا كبرّ أولاده به وصحة ورزقاً أما ثواب الاستغفار المعجل في الدنيا (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً* يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً*وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً) ١٠-١٢ سورة نوح ، ولكن إذا قصدنا من الاستغفار النفع الدنيوي فليس لنا إلا هو، قال تعالى: (فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ) ٢٠٠ سورة البقرة ،بينما لو قصد الإنسان بالاستغفار وجه الله والدار الآخرة، بأن ينوي أن تغفر ذنوبه، فإنه سيحصل له من كرم الله حسنات في الدنيا تبعاً، فعلى العبد أن ينوي بعمله وجه الله، والدنيا تأتيه تبعاً.

وقد كان الصحابة عندما يخرجون إلى الجهاد في سبيل الله لا يقصدون الغنائم وإنما يقصدون الشهادة، ويقصدون ثواب الآخرة، ويقصدون مرضاة الرب -عز وجل- والغنائم تحصل تبعاً، وإلا فإن الرجل إذا خرج يلتمس المغنم أو خرج يلتمس فخراً فلا شيء له عند الله كما في قصة الرجل الذي سأل عن الغزو قائلاً: الرجل يغزو ويلتمس الأجر والذكرى ما له؟ يعني يلتمس الفخر في الدنيا والسمعة فيقال: فلان شجاع، أو فلان جريء، فأخبره النبي - ﷺ - أنه ليس له شيء عند الله؛ لأنه أشرك الدنيا في عمله ذلك، فالأرزاق تأتي تبعاً للأعمال وليست أساساً ولا قصداً فيها، وأبو طلحة -رضي الله عنه- لما تصدق ببستان له قال للنبي - ﷺ -: "إنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله"[(١)].

والفرق بين الرياء، وإرادة الإنسان بعمله الدنيا:

الفرق بين الرياء وطلب الدنيا أن بينهما عموماً وخصوصاً مطلقاً، يجتمعان في العمل لغَيْر وجْه الله، وفي أنهما شرك خفي، لأنه تصنّع عند الناس، وطلب الإكرام منهم والمدح والثناء، ويفترقان في أنَّ الرّياء يُراد به الجاه والشُّهرة، وأما طلب الدُّنيا فيُراد به الطمع والعرض العاجل، كمَن يُجاهد مِنْ أجْل المال فقط، والذي يعمل مِن أجل الطمع

(١) صحيح مسلم باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين (٩٩٨).

والعرض العاجل أعقلُ من الذي يعمل للرِّياء؛ لأنَّ الذي يعمل للرياء لا يحصل له شيء، وأما الذي يعمل من أجْل الدُّنيا، فقد يحصل له طمع في الدُّنيا ومنفعة.

أما العمل للدنيا فهو أن يعمل الإنسان عملاً صالحاً لا يقصد به الرياء للناس، وإنما يقصد به عرضاً من الدنيا؛ كمن يجاهد للمغنم، أو غير ذلك، فالمرائي عمل لأجل المدح والثناء من الناس، والعامل للدنيا يعمل العمل الصالح يريد به عرض الدنيا، وكلاهما خاسر، نعوذ بالله من مُوجبات غضبه، وأليم عقابه[١].

فمسألة التشريك في العبادة تحتاج إلى شيء من التفصيل والبسط والتمثيل قال القرافي: "اعلم أن الرياء في العبادات شرك وتشريك مع الله تعالى في طاعته وهو موجب للمعصية والإثم والبطلان في تلك العبادة كما نص عليه الإمام المحاسبي وغيره ويعضده ما في الحديث الصحيح أخرجه مسلم وغيره أن الله تعالى يقول أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا أشرك فيه غيري تركته له أو تركته لشريكي فهذا ظاهر في عدم الاعتداد بذلك العمل عند الله تعالى وكذلك قوله تعالى (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) يدل على أن غير المخلصين لله تعالى ليسوا مأمورين به وما هو غير مأمور به لا يجزى عن المأمور به فلا يعتد بهذه العبادة وهو المطلوب وتحقيق هذه القاعدة وسرها وضابطها أن يعمل العمل المأمور به والمتقرب به إلى الله تعالى ويقصد به وجه الله تعالى وأن يعظمه الناس أو يعظم في قلوبهم فيصل إليه نفعهم أو يندفع عنه ضررهم فهذا هو قاعدة أحد قسمي الرياء والقسم الآخر أن يعمل العمل لا يريد به وجه الله تعالى ألبتة بل الناس فقط ويسمى هذا القسم رياء الإخلاص والقسم الأول رياء الشرك لأن هذا لا تشريك فيه بل خالص للخلق والأول للخلق ولله تعالى...." [٢]انتهى.

فالتشريك في العبادة لا يحرم بخلاف الرياء فيها فإنه يحرم وذلك أن التشريك فيها لما كان بما جعله الله تعالى للمكلف في هذه العبادة مما لا يرى ولا يبصر: وكمن صام ليصح

---

(١) انظر: فتح المجيد، ص٤٤٢، وتيسير العزيز الحميد، ص٥٣٤.

(٢) أنوار البروق في أنواع الفروق، للقرافي لقواعد الفقهية (٣/٢٣-٢٤).

جسده، وكمن صام ليقطع الشهوة، وكمن يتوضأ بقصد التبرد، وكمن أمر بكثرة المشي فقال بدلاً من ذلك أطوف، وكالإمام إذا أطال الركوع من أجل الداخل فهذا تشريك في العبادة، وكمن قرأ في الصلاة آية وقصد بها القراءة والتفهيم فإنها لا تبطل، ومن ذلك أيضا من قال له إنسان صل الظهر ولك دينار فصلى بهذه النية فإنه تجزئه صلاته ولا يستحق الدينار.

فهذه أمثلة كاملة لما يصح من العبادات مع التشريك؛ لأن جميع هذه الأغراض لا يدخل فيها تعظيم الخلق بل هي تشريك أمور من المصالح ليس لها إدراك ولا تصلح للإدراك ولا للتعظيم فلا تقدح في العبادات إذ كيف تقدح وصاحب الشرع قد أمر بها في قوله ϵيا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء[1] أي قاطع.

نعم إذا تجردت العبادة عن هذه الأغراض زاد الأجر، وأما الرياء فيها فإنه لما كان شركا وتشريكا مع الله تعالى في طاعته، من ذلك أن يعمل العمل المأمور به والمتقرب به إلى الله تعالى ويقصد به وجه الله تعالى وأن يعظمه الناس أو يعظم في قلوبهم فيصل إليه نفعهم أو يندفع عنه ضررهم فيسمى رياء الشرك لأنه للخلق ولله تعالى.

أو أن يعمل العمل لا يريد به وجه الله تعالى ألبتة بل الناس فقط فيسمى رياء الإخلاص لقوله تعالى "وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين"، ولقوله ϵ: إن الله تعالى يقول أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا أشرك فيه غيري تركته له أو تركته لشريكي[2]، فإن الحديث ظاهر في عدم الاعتداد بذلك العمل عند الله تعالى والآية تدل على أن غير المخلصين لله تعالى ليسوا مأمورين به وما هو غير مأمور به لا يجزئ عن المأمور به فلا يعتد بهذه العبادة، قال شيخ الإسلام ابن تيميه ¬ : حكي أن أبا حامد الغزالي بلغه أن من أخلص لله أربعين يوماً تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ، قال : فأخلصت

(١) رواه البخاري (٥٠٦٦) ومسلم (١٤٠٠) عن ابن مسعود .

(٢) صحيح مسلم (٢٩٨٥).

أربعين يوماً فلم يتفجر شيء ، فذكرت ذلك لبعض العارفين فقال لي : إنما أخلصت للحكمة ولم تخلص لله؛ وذلك لأن الإنسان قد يكون مقصوده نيل العلم وقد عرف أن ذلك يحصل بالإخلاص لله وإرادة وجهه ، فإذا قصد أن يطلب ذلك بالإخلاص وإرادة وجهه كان متناقضاً؛ لأن من أراد شيئاً لغيره فالثاني هو المراد المقصود بذاته، والأول يراد لكونه وسيلة إليه، فإذا قصد أن يخلص لله ليصير عالماً فهو هنا لم يرد الله بل جعل الله وسيلة إلى ذلك المطلوب الأدنى[1] فهذا ينافي كمال الإخلاص، وهو من الشرك الأصغر.

أما من يجعل الإخلاص غاية وقصداً لكن يحصل له بذلك منفعة دنيوية، فهذا لا يخلو من حالين:

١ – أن تكون هذه المنفعة مما جعلت في العبادة أصلاً كالغنيمة في الجهاد فهذا لا يخلو من حالين أيضاً:

– أن لايخالط العامل قصد لتحصيل هذه المنفعة، فهذا في أعلى الدرجات.

– أن يخالط العامل قصد لتحصيل هذه المنفعة، فهذا لا يحرم عليه بالإجماع على ما نقله القرافي، لكنه بهذه المخالطة قد ينقص أجره.

٢ – أن تكون هذه المنفعة جُعْلاً يجعل للعامل فحكم هذا خاضع لأحوال العامل من جهة مقصده.

وللإمام عبد الرحمن بن سعدي ¬ تفصيل مهم في ذلك حيث قال: "وأما العمل لأجل الدنيا وتحصيل أعراضها فإن كانت إرادة العبد كلها لهذا القصد ولم يكن له إرادة لوجه الله والدار الآخرة فهذا ليس له في الآخرة من نصيب ، وهذا العمل على هذا الوصف لا يصدر من مؤمن فإن المؤمن وإن كان ضعيف الإيمان لابد أن يريد الله والدار الآخرة؛ وأما من عمل العمل لوجه الله ولأجل الدنيا والقصدان متساويان أو متقاربان فهذا وإن كان مؤمناً فإنه ناقص الإيمان والتوحيد والإخلاص، وعمله ناقص لفقده كمال الإخلاص؛ وأما من عمل لله وحده وأخلص في عمله إخلاصاً تاماً لكنه يأخذ على عمله

---

[1] مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢٤/١٤٤).

جعلاً معلوماً يستعين به على العمل والدين كالجعالات التي تجعل على أعمال الخير وكالمجاهد الذي يرتب على جهاده غنيمة أو رزق، وكالأوقاف التي تجعل على المساجد والمدارس والوظائف الدينية لمن يقوم بها فهذا لا يضر أخذه في إيمان العبد وتوحيده لكونه لم يرد بعمله الدنيا ، وإنما أراد الدين وقصد أن يكون ما حصل له معيناً على قيام الدين ، ولهذا جعل الله في الأموال الشرعية كالزكوات وأموال الفيء وغيرها جزءً كبيراً لمن يقوم بالوظائف الدينية والدنيوية النافعة"[1] .

قال الصنعاني في سبل السلام: وعن أبي موسى الأشعري قال، قال رسول الله ﷺ: "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله" متفق عليه وفي الحديث هنا اختصار ولفظه عن أبي موسى أن أعرابي قال للنبي ﷺ: الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله قال: "من قاتل..." الحديث والحديث دليل على أن القتال في سبيل الله يكتب أجره لمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ومفهومه أن من خلا عن هذه الخصلة فليس في سبيل الله وهو من مفهوم الشرط[2].

ويبقى الكلام فيما إذا انضم إليها قصد غيرها وهو المغنم مثلا هل هو في سبيل الله أو لا قال الطبري إنه إذا كان أصل المقصد إعلاء كلمة الله تعالى لم يضر ما حصل من غيره ضمنا وبذلك قال الجمهور والحديث يحتمل أنه لا يخرج عن كونه في سبيل الله مع قصد التشريك لأنه قد قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ويتأيد بقوله تعالى: (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ) فإن ذلك لا ينافي فضيلة الحج فكذلك في غيره فعلى هذا العمدة الباعث على الفعل فإن كان هو إعلاء كلمة الله لم يضره ما انضاف إليه ضمنا[3].

---

(١) بهجة قلوب الأبرار (٢٧٣).

(٢) انظر سبل السلام: شرح بلوغ المرام من جمع ادلة الاحكام، صنعاني (٣٥٥).

(٣) انظر جامع البيان" (١٢/٣٤٧).

ولا يخفى أن الأخبار هذه دليل على جواز تشريك النية؛ إذ الإخبار به يقتضي ذلك غالبا ثم إنه قد يقصد المشركون لمجرد نهب أموالهم كما خرج رسول الله ﷺ بمن معه في غزاة بدر لأخذ عير المشركين ولا ينافي ذلك أن تكون كلمة الله هي العليا بل ذلك من إعلاء كلمة الله تعالى وأقرهم الله تعالى على ذلك بل قال تعالى: (وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ) ولم يذمهم بذلك مع أن في هذا الإخبار إخبارا لهم بمحبتهم للمال دون القتال فإعلاء كلمة الله يدخل فيه إخافة المشركين وأخذ أموالهم وقطع أشجارهم ونحوه وأما حديث أبي هريرة عند أبي داود أن رجلا قال يا رسول الله رجل يريد الجهاد في سبيل الله وهو يبتغي عرضا من الدنيا فقال لا أجر له فأعاد عليه ثلاثا كل ذلك يقول: "لا أجر له" فكأنه فهم ﷺ أن الحامل هو العرض من الدنيا فأجابه بما أجاب وإلا فإنه قد كان تشريك الجهاد بطلب الغنيمة أمرا معروفا في الصحابة فإنه أخرج الحاكم والبيهقي بإسناد صحيح أن عبد الله بن جحش قال يوم أحد اللهم ارزقني رجلا شديدا أقاتله ويقاتلني ثم حتى أقتله وآخذ سلبه فهذا يدل على أن طلب العرض من الدنيا مع الجهاد كان أمرا معلوما جوازه للصحابة فيدعون الله بنيله.

قال ابن عثيمين: إن الإنسان إذا أراد بعمله الحسنيين حسنى الدنيا، وحسنى الآخرة فلا شيء عليه في ذلك؛ لأن الله يقول: (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً) سورة الطلاق/٢ –٣ ، وهذا ترغيب في التقوي بأمر دنيوي.

فمن أخلص العبادة ولم يرد بها الخلق إطلاقا ولم يقصد مراءاة الناس ومدحهم على عبادته بل قصد أمرا ماديا من ثمرات العبادة، فليس كالمرائي الذي يتقرب إلى الناس بما يتقرب به إلى الله ويريد أن يمدحوه به، لكنه بإرادة هذا الأمر المادي نقص إخلاصه فصار معه نوع من الشرك وصارت منزلته دون منزلة من أراد الآخرة إرادة محضة.

فالأجر يتعدد بتعدد النية في العمل الواحد، فإذا دخل المسلم المسجد متوضئا، فصلى ركعتين ينوي بهما سنة الفجر، وسنة الوضوء، وسنة تحية المسجد، حصل له أجر ما نوى، والله ذو الفضل العظيم فالطاعات مرتبطة بالنيات في أصل صحتها، وفي تضاعف فضلها؛ أما الأصل فهو أن ينوي

بها عبادة الله تعالى لا غير، فإن نوى الرياء صارت معصية، وأما تضاعف الفضل فبكثرة النيات الحسنة، فإن الطاعة الواحدة يمكن أن ينوي بها خيرات كثيرة، فيكون له بكل نية ثواب [١]، وما من طاعة إلا وتحتمل نيات كثيرة، وإنما تحضر في قلب العبد المؤمن بقدر جده في طلب الخير، وتشمره له، وتفكره فيه، فبهذا تزكوا الأعمال وتتضاعف الحسنات، وقال الشيخ ابن باز رحمه الله: "إذا توضأ الإنسان صلى ركعتين ينويهما سنة الوضوء، وإذا دخل المسجد بعد الوضوء صلى ركعتين ينويهما سنة التحية وسنة الوضوء، يحصل له الأجر، أجر سنة الوضوء وأجر تحية المسجد، حصل له ذلك، والحمد لله فضل الله واسع [٢].

---

[١] إحياء علوم الدين للغزالي (٤/٣٧٠- ٣٧١).

[٢] انتهى من فتاوى نور على الدرب (١١/ ٥٧).

المبحث الثالث: تسرب مفاهيم عدم الاخلاص في الواقع المعاصر:

ويتضمن مطلبان:

المطلب الأول: أبرز مظاهر هذا التسرب

قراءة القرآن لها أثر عظيم في علاج الهم والقلق، وجلب السعادة والطمأنينة، وكذلك الاستغفار، والإكثار من الطاعات بصفة عامة، من أسباب تحصيل السعادة، كما قال تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) سُورَةُ النَّحْلِ /٩٧، وقال تعالى (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً. وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً) سُورَةُ الطَّلَاقِ /٢،٣.

فمن أكثر من الطاعات، وحافظ على صلاته وذكره واستغفاره ودعائه وقراءته للقرآن، رجي له التوفيق والسعادة، وتحقيق مراده ومطلوبه، لكن لا يشرع التعبد ببعض الأعمال بنية الدنيا دون الآخرة؛ فذلك إما أن ينقص من الأجر أو يسقط العمل الصالح، كما يفعل البعض حيث يعملون الصالحات من صدقة وصلاة وصلة وإحسان إلى الناس وترك ظلم، ونحو ذلك مما يفعله البعض، أو يتركه خالصا لوجه لله، لكنه بعمله هذا لا يريد ثواب الله في الآخرة، إنما يريد أن يجازيه الله بحفظ ماله وتنميته، أو حفظ أهله وعياله، أو إدامة النعمة عليهم، ولا همة له في طلب الجنة والهرب من النار؛ فهذا يعطى ثواب عمله في الدنيا، وليس له في الآخرة نصيب، كمن يتصدق بنية الشفاء، فقد ورد في بعض الأحاديث أن الصدقة تداوي الأمراض كقوله "داووا مرضاكم بالصدقة"[١] مع تضعيف العلماء لهذا الحديث، لكن على القول بفضل الصدقة وانها تطفئ غضب الرب، فهناك من يتصدق بنية علاج المريض وهذا هدف دنيوي، فيكون قصد العمل الصالح الدنيا،

---

(١) ورد هذا الحديث من طرق متعددة عن جمع من الصحابة، وقال عنه الألباني يقتصر على تحسين جملة واحدة منه في تعليقه على الترغيب و الترهيب (١/٣٣٥–مشهور)، وقال الشيخ يوسف العمري: فتتبعت تلك الطرق من مظانها، و استقصيت كلام النقاد على رجالها، و بيان عللها، فوجدتها لا ينجبر ضعفها انظر http://www.ahlalhdeeth.com

بل صاروا يتصدقون لأجل الشفاء ليس إلا، وربما لا يفكر أصلاً في الدار الآخرة، استغفر بنية الولد، قراءة البقرة ابتغاء النكاح؛ بينما أمر الدنيا أمراً مقدّراً مقسوماً للعبد كسائر رزقه، ولن تموت نفس حتىٰ تستكمل رزقها وأجلها ، كما قال النبي ﷺ : "إن روح القدس نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتىٰ تستكمل أجلها ، و تستوعب رزقها ، فاتقوا الله ، وأجملوا في الطلب ، ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله ، فإن الله تعالىٰ لا ينال ما عنده إلا بطاعته[1]" لكن يشرع أن اتخاذ الأسباب لتحصيل الرزق ، ومن ذلك الدعاء، فالدعاء سبب يدفع البلاء، فإذا كان أقوىٰ منه دفعه، وإذا كان سبب البلاء أقوىٰ لم يدفعه لكن يخففه ويضعفه، ولهذا أمر به وبالصلاة والدعاء والاستغفار والصدقة عند الكسوف قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-: لابد من التنبيه علىٰ أن بعض الناس عندما يتكلمون علىٰ فوئد العبادات يحولونها إلىٰ فوائد دنيوية، فمثلاً يقولون: في الصلاة رياضة وإفادة الأعصاب، وفي الصيام فائدة إزالة الفضلات وترتيب الوجبات، والمفروض أن لا تجعل الفوائد الدنيوية هي الأصل؛ لأن ذلك يؤدي إلىٰ إضعاف الإخلاص والغفلة عن إرادة الآخرة، وحولت العبادات إلىٰ علاجات، وفوتت ثواباً كثيراً علىٰ الناس، وتعلقوا بالدنيا وصار الشغف بها، وصاروا لا يهتمون بالحسنات التي لا يذكر لها فوائد دنيوية. ولكل مقام مقال[2]

والإنسان قد يُعطىٰ أشياء من التعويضات في الدنيا عن صدقة تصدق بها أو عمل عمله بدون أن يقصد هذا المقابل الدنيوي، فإذا حصل فهذا من فضل الله ولا يمتنع عن أخذه، فالمسلم إذا قصد وجه الله بالعمل فإن ما يحصل تبعاً لذلك العمل فضلا من الله رزقه الله به، فهو عندما يستغفر لا يقصد الدنيا بل يقصد الآخرة، وغفران الذنوب، والأجر من الله، والنجاة من النار، والفوز بالجنة، لكن يحصل له تبعاً الفوائد الدنيوية التي ذكرها الله -عز وجل- دون أن يقصدها استقلالاً أو ابتداءً، وهذا هو معقد الأمر الذي يخفىٰ علىٰ كثير من الناس، لكن من يقصدون أشياء من الدين يعملونها لأجل الدنيا،

(١) رواه أبو نعيم في الحلية من حديث أبي أمامة، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٠٨٥).

(٢) انظر كتاب العلم، ابن عثيمين (٢٤).

كالصدقة للشفاء لا لأجل الآخرة، هذا ليس له في الآخرة من نصيب؛ لأن كل النية والدافع للعمل هو الشفاء، وهو شيء دنيوي، لكن لو تصدق ابتغاء وجه الله والثواب من الله في الآخرة، ورغبة في الجنة والمغفرة فإنه سيحصل له تبعاً شفاء في الدنيا، ولا يحتاج الإنسان أن ينويه ليحصل؛ لأن الله كريم يعطي عبده في الدنيا مقدمات، فلا يجوز أن يعمل الإنسان عبادة يبتغي بها غير وجه الله مهما كانت أجورها الدنيوية، وإلا فالعمل يحبط والعياذ بالله، بل عليه أن يتصدق طلباً لمرضاة الله جل وعلا، ويكون الشفاء أو ما يريد من الدنيا تابع لذلك، والرسول أمر الإنسان إذا دعا بدعوة ألا يتعجل، فالله وعد بالإجابة، فلا بد ان يحصل له واحدة من ثلاث:

إما أن يعطى دعوته عاجلة.

وإما أن يصرف عنه من البلاء ما هو أعظم من ذلك.

وإما أن تدخر له في الآخرة، وهذا أفضل.

عن أبي سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن تعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها، قالوا: إذا نكثر ؟قال : الله أكثر"[1].

كذلك المتصدق لا يجوز أن يتصدق لأجل أن يكثر ماله، أو يصح بدنه، أو يشفى مريضه فقط، بقطع النظر عن ابتغاء فضل الله، وطلب مرضاته، وليس معنى ذلك أنه انه اثم إذا طلب النفع الدنيوي؛ بل المقصود ألا تكون الدنيا هي مراده فقط، ولكن أهم وأغلب وأعظم مراده يكون في الآخرة، ورضاء الله، وكونه يطلب عاجلاً في الدنيا لا يضره، والله جل وعلا يعلمنا فيقول: (رَبَّنَا آتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) سُورَةُ البَقَرَة :٢٠١ ويجب أن يكون طلب كل شيء من الله ولو كان شيئاً يسيراً.

---

[1] رواه أحمد (١٠٧٤٩) ، وصححه الألباني في " صحيح الترغيب والترهيب (١٦٣٣).

المطلب الثاني: نماذج من السلف وابتغاهم ما عند الله

كان بعض الصّحابة لا يرضى أن يُعطى من الدنيا شيئاً، ولا يطلب شيئاً، لأنه يريد الدار الآخرة، من باب حفظ أعمالهم ورجاء ثوابها في الدار الآخرة، فلا يحبون أن يتعجّلوا من حسناتهم شيئاً، ولكن من أُعطي من غير تشوُّف، ومن غير طمع، ومن غير طلب، فإنه يأخذ، كما في الحديث: "ما جاءك من هذا المال وأنت غير مستشرفٍ له فخذه، وما لا فلا تُتْبِعْهُ نفسك".

فقد كان الاحتساب شعارهم، قال عمر: أيها الناس! احتسبوا أعمالكم فإن من احتسب عمله كتب له أجر عمله وأجر حسبته، وهكذا قال الصحابي الآخر: أما أنا فأنام وأقوم وأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي، فطلب الثواب في الراحة لأجل الاستعانة على العبادة، ومن ابتغى في أعماله وجه الله والدار الآخرة صارت في الميزان من الحسنات، ومن ابتغى بها فرح الدنيا وبهجتها صارت هباءً منثوراً.

موسى –عليه السلام– لما عمل الخير وسقى للمرأتين وأعان ذلك الرجل الكبير في السن على غنمه، ودعا ربه، (فَجَاءتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا) ٢٥ سُورَةُ القَصَصِ ،لما سقى موسى لم يقصد مقابلاً، ولما حصل لم يكن هناك مانع أن يناله، وهكذا يغني الله أولياءه؛ وكان الصحابة يخرجون إلى الجهاد في سبيل الله لا يقصدون الغنائم وإنما يقصدون الشهادة، ويقصدون ثواب الآخرة، ويقصدون مرضاة الرب –عز وجل– والغنائم تحصل تبعاً، يقول: "هاجرنا مع النبي –صلى الله عليه وسلم– نريد وجه الله، فوقع أجرنا على الله، فمنا من مضى لم يأخذ من أجره شيئاً" يعني مثل مصعب بن عمير، "ومنا من أينعت له ثمرته" يعني فتح الله عليه ورزقه.

جاءت الأرزاق تبعاً للأعمال وليست أساساً ولا قصداً فيها، وأبو طلحة –رضي الله عنه– لما تصدق ببستان له قال للنبي – ﷺ–: (إنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله)، قيل للحسن بن علي يوماً: إن الناس يقولون: إنك تريد الخلافة؟ فقال: "كانت

جماجم العرب في يدي" قال: "كانت جماجم العرب في يدي يسالمون من سالمت، ويحاربون من حاربت فتركتها ابتغاء وجه الله".

قال شبيب بن شيبة: "كنا في طريق مكة فجاء أعرابي في يوم صائفٍ شديد الحر، ومعه جارية له سوداء –أمة يملكها– وصحيفة فقال: أفيكم كاتب؟! قلنا: نعم، فقال: اكتب، ولا تزيدن على ما أقول لك حرفاً: هذا ما أعتق عبد الله بن عقيل الكلابي، أعتق جارية له سوداء يقال لها: لؤلؤة؛ ابتغاء وجه الله وجواز العقبة العظمى، (فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ۝وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ۝ فَكُّ رَقَبَةٍ) ١١–١٣ سُورَةُ الْبَلَدِ ، وهكذا كان ديدن الصالحين، إذا عملوا العمل الصالح فالقصد وجه الله، القصد الدار الآخرة، القصد ثواب الله. إذن لابد أن نحرص على ابتغاء وجه الله بالأعمال الصالحة.

ومن دقيق ما يذكر في تحري بعض أهل العلم للإخلاص، والبعد كل البعد عما يخدشه، ما ذكره ابن عبد الهادي، قال: وأخبرت عن القاضي علاء الدين بن اللحام أنه قال: ذكر لنا مرة الشيخ ـ يعني الحافظ ابن رجب ـ مسألة فأطنب فيها، فعجبت من ذلك، ومن إتقانه لها، فوقعت بعد ذلك بمحضر من أرباب المذاهب وغيرهم، فلم يتكلم فيها الكلمة الواحدة، فلما قام، قلت له: أليس قد تكلمت فيها بذلك الكلام، قال: إنما أتكلم بما أرجو ثوابه، وقد خفت من الكلام في هذا المجلس [1].

قال الذهبي: ينبغي للعالم أن يتكلم بنية وحسن قصد، فإن أعجبه كلامه فليصمت، فإن أعجبه الصمت فليتكلم، ولا يفتر عن محاسبة نفسه؛ فإنها تحب الظهور والثناء [2] فاحتساب الأجر والثواب مهم، وتنقية النية مهمة؛ لأن النفس إذا استشعرت ثواب الله تعالى واحتسبت الأجر عنده اجتهدت.

---

(١) المعروف بـ (ابن الْمَبْرِد) في كتابه الجوهر المنضد في طبقات متأخري أصحاب الإمام أحمد (٥٢)

(٢) في السير(٤/٤٩٤).

وقال الشيخ ابن عثيمين ¬:" من صلى ليأخذ، أو أذَّن ليأخذ: فهذا ليس له أجر في الآخرة؛ ذلك لأنه أراد بعمله الدنيا، فلا يكون له إلا ما أراد [(١)]".

الذي ظهر لي بعد بحث كثير في هذه المسألة ما خلاصته:

١- من عمل الطاعات بنية طلب مدح الناس فقط أو بنية الثواب الأخروي مع طلب مدح الناس فهو الرياء المحرم.

٢- من عمل الطاعات بنية فائدتها الدنيوية التي علمت من العادة كالتجارة في الحج والغنيمة في الحرب وتقاضي أجرة على تعليم القرآن أو الإمامة أو الحمية الغذائية في الصوم أو رياضة البدن في الصلاة إذا خلا من نية طلب الثواب الأخروي فهو اثم، وأما إذا اقترن بنية الثواب الأخروي فلاباس ولكنه ينقص الثواب.

٣-من عمل الطاعات بنية فائدتها الدنيوية التي علمت من الشرع كالشفاء بالدعاء وتلاوة القرآن والصدقات والاكثار من الطاعات، أو زيادة العمر والرزق بصلة الرحم، أو المطر والأولاد بالاستغفار إذا خلا من نية الثواب الأخروي فهو نية صالحة إن شاء الله ولكن ينقص أجره ، وقلنا هي نية صالحة لما في هذه النية من التصديق بوعد الله ووعد رسوله صلى الله عليه وسلم ، إذ ليس هناك رابط عقلي من خلال المقاييس المادية يربط بين الإمداد بالمال والبنين مثلا وبين الاستغفار، فيكون من طلبهما بالاستغفار مصدقا بوعد الله مأجورا، كما أن من طلبهما بتميمة أو ودعة آثما مأزورا لتصديقه بوعد الدجالين وأخذه بسبب ليس شرعيا ولا ماديا، وأما من طلب الشفاء أو الرزق ومثلهما من المصالح الدنيوية بأسبابهما المادية كالتداوي والتجارة والزراعة قد فعل مباحا مأذونا فيه، أما إذا اقترن الأخذ بالأسباب الشرعية للشفاء والرزق ونحوهما بنية الثواب الأخروي فهو نية صالحة تزيد الثواب إن شاء الله لما في هذه النية من التصديق بوعد الله ووعد رسوله صلى الله عليه وسلم، وقد يكون منع بعض الأعلام الفضلاء من ذلك، خوفا من ان يكون عملهم الصالحات، لتسرب كلام المتصوفة حيث إنهم يجعلون عبادة

---

(١) فتاوى نور على الدرب (٨/ ٢) بترقيم الشاملة.

الله بنية الفوز بالجنة والنجاة من النار قدحا في الإخلاص، فأدى بهم ذلك إلى جعل الأخذ بالأسباب الشرعية قادحا في الإخلاص، نسأل الله تعالى أن يجعلنا من عباده المخلصين، والمسألة شائكة ومزلة أقدام، نسأل الله العفو والعافية، وبالله تعالى التوفيق، وهو أعلم بالصواب.

المطلب الثالث: وسائل العلاج.

فمن خلط عمل صالحاً وآخر سيئاً؛ عليه التوبة؛ فأن التوبة تجب ما قبلها، وإصلاح العمل، لازم لقول الله تعالى: (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ) سُورَةُ التَّوْبَةِ ١٠٥، وباخلاص العمل لله، وكذلك الصدقة؛ فإن الصدقة تكفر الخطيئة وتطفئ غضب الرب ، وفيها إحسان يمحو الله به السيئات، والاكثار من الصلاة على النبي ﷺ؛ فتحصل لهم السكينة؛ لإن للذنوب أثر يزعج الروح ويقلقها فلا تسكن إلا بما جعله الله من أسباب السكينة، وتذكر الحساب والجزاء، فمن أخذ من المخلّصين بهذه الوصايا رجي له أن يتوب الله عليه ويغفر له ويرحمه.

فبذل أسباب رفع البلاء من التوبة والاستغفار والصدقة والدعاء كلّ ذلك من الأعمال المشروعة.

خاتمة:

وفي الختام يجب على المسلم أن يحذر الشرك صغيره وكبيره، فإن أعظم معصية عصي الله بها هي الشرك به، والتعدي على خالص حقه؛ وهو عبادته وطاعته وحده لا شريك له.

ولذا فقد أوجب الخلود في النار للمشركين وأخبر أنه لا يغفر لهم، وحرَّم الجنة عليهم كما قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً) سُورَةُ النِّسَاءِ / ٤٨، وقال جل شأنه (إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) سُورَةُ المَائِدَةِ / ٧٢.

فالوجب على كل ذي عقل ودين، ان يخلص العمل لله ويجعل نينته للدار الآخرة وسوف تأتيه الدنيا تباعا دون ان يطلبها متى ما احتسب عند الله الاجر والمثوبة، وأن يخشى على نفسه من الشرك وأن يلوذ بربه طالباً منه أن ينجيه من الشرك؛ كما قال الخليل ﷺ: (وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ) سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ / ٣٥، قال بعض السلف: " ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم ".

فلا يسع العبد الصادق إلا أن يَعظُم خوفه من الشرك، وأن تشتد رغبته إلى ربه في أن ينجيه منه، داعياً بالدعاء العظيم الذي علمه النبي ﷺ لأصحابه حين قال لهم: " الشرك فيكم أخفى من دبيب النمل، وسأدلك على شيء إذا فعلته أذهب عنك صغار الشرك وكباره تقول: " اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغرك لما لا أعلم" [(١)].

(١) صححه الألباني في صحيح الجامع (٣٧٣١).

المراجع

١. احياء علوم الدين إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، الناشر: دار المعرفة – بيروت

٢. الأشباه والنظائر، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (المتوفى: ٩١١هـ) دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م

٣. إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩١م

٤. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين المحقق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية

٥. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي أبو الفداء عماد الدين، المحقق: سامي بن محمد السلامة، الناشر: دار طيبة، سنة النشر: ١٤٢٠ – ١٩٩٩، طبعة: ٢

٦. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، المحقق: زهير الشاويش، المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م

٧. تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، الطبعة: الأولى، الناشر : وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، تاريخ النشر : ١٤٢٢هـ

٨. جامع العلوم والحكم، ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، المحقق: شعيب الأرناؤوط – إبراهيم باجس، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: السابعة، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م

٩. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار المعرفة – المغرب، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م

١٠. الجوهر المنضد في طبقات متأخري أصحاب أحمد (ت: العثيمين) يوسف بن الحسن بن عبدالهادي الدمشقي الصالحي الحنبلي ابن المبرد، المحقق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، النشر: ١٤٢١ – ٢٠٠٠

١١. الرسالة التبوكية = زاد المهاجر إلى ربه، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، المحقق: د.محمد جميل غازي، الناشر: مكتبة المدني – جدة الروح

١٢. سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.

١٣. فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، المحقق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م.

١٤. فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦ مع الكتاب: تعليقات يسيرة لماجد الحموي

١٥. القول السديد شرح كتاب التوحيد، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢١هـ

١٦. القول المفيد على كتاب التوحيد، ابن عثمين، محمد بن صالح، دار ابن الجوزي ط:٧، ١٤٣٧هـ.

١٧. مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (مجموع الفتاوى) (ط.الأوقاف السعودية) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، سنة النشر: ١٤٢٥ – ٢٠٠٤

١٨. مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، الناشر: دار الوطن – دار الثريا، الطبعة: الأخيرة – ١٤١٣ هـ

١٩. معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي المحقق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم – الدمام الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م

٢٠. مقاصد المكلفين فيما يتعبد به لرب العالمين، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، مكتبة الفلاح، الكويت الطبعة: الأولى، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م

٢١. مُنْتَهَى الآمَالِ في شَرح حديث إنمّا الاعمال، الإمام السيوطي المحقق: محمد عطية، دار ابن حزم الطبعة: الأولى ١٤١٩ هـ/١٩٩٨ م.